

تيران ومنا فير مصرية



www.alhramain.com

كاتبة وناشطة مصرية

لا أعلم ما السر وراء إصرار النظام الحالي على إدخالنا جميعاً في حال حزن وتوتر وقلق وترقب؟ هل هذه هي الوسيلة الناجعة للسيطرة على هذا العدد المهول من البشر الذي لم يمض سوى ما يقرب من ست سنوات على قيامه بثورة؟

هل هناك أخصائي نفسي ما نصّح النظام الحالي بأنها الوسيلة الناجعة لـ"قصقصة ريش" المجموع الذي كان قد اكتسب ثقة في نفسه منذ حوالي ست سنوات؟

أحيل القارئ إلى فيلم قصة "إحسان عبد القدوس" وبطولة محمود ياسين وسعاد حسني، وإخراج عاطف سالم، بعنوان "أين عقلي؟". تدور أحداث الفيلم حول بطل يعاني من عُقد ومرض نفسي، ويريد أن يؤثر على زوجته ويوهمها بأنها هي من تعايني من مرض نفسي، حيث يوحى إليها بأنها أنت بأفعال لا تذكرها، وقالت أشياء لم تقلها، وببعضها طوال الوقت تحت ضغط نفسي وشكٍ في ذاتها وقدراتها العقلية.

في البداية كان الإنحصار لعاصفة الثورة، والمداراة، والمسايسة. ثم العلاج بالصدمة: واجهوا الإسلام السياسي وحدكم. حتى يتم دفع الناس دفعاً للاستنجاد بالنظام القديم. ثم التشكيك في كل ما قام به الناس، تشكيكهم في أنفسهم، في تحرّكهم، في أغراضهم: كل ما كان مجرّد مؤامرة دنيئة، وقد تم استغلالكم، أنتم بلهاء، تحتاجون إلى من يعرف أكثر منكم، لمن يرشدكم، لستم أهلاً للحكم على الأمور. ثم ممارسة بعض الأفعال واتهام الناس بأنهم يمارسونها:

التشكيك في الناس ثم التساؤل: ليه التشكيك؟ أنتم ليه على طول شاكين ومتشكّكين؟!

و"قولوا لي أنا أأسأ لمين" ... بمنتهى البراءة! حتى يظنّ الناس أن هناك خللاً ما في عقولهم. وأخيراً، تم عقد اتفاقية لتسليم جزيرتين مصريتين، مات على ترابهما آلاف الشهداء، للملكة العربية السعودية.

وهذه ليست المشكلة الحقيقية، المشكلة الحقيقة أن أبواب النظام استخدمت أسلوباً يتثير الهلع في إثبات سعودية الجزرتين: "ناريخياً الجزيتان سعوديتان"! تا .. إيه؟ تا .. شو؟ تا .. شنو؟ تا .. إيش؟ تا .. ماذ؟ تاريخياً؟

هذه مصر. يبدأ التاريخ بمصر... ويبدو أنه سينتهي بها، لأن بسبب ما يحدث الطاهر حنقوّم القيامة على البشرية. حمل أحد المتظاهرين لافتة كتب عليها: رجعت للتاريخ عشان أثبت أن الجزر سعودية ما لقتش السعودية نفسها. ثم القبض على مَن يقولون بمصرية الجزرتين... وهذه ليست المشكلة، المشكلة اتّهام مَن يقول بمصرية الجزرتين بالخيانة الوطنية!

بصرف النظر عن كون الجزرتين مصرتين من عدمه، حين أصبحوا من النوم لأقرّر مثلاً أن باريس تدخل في حيّز الأراضي المصرية.. هل هذا يعني أنني خائنة للوطن؟ هل أستحق الحبس على هذه المقوله حتى لو كانت باطلة أو تنم عن خلل عقلي؟

بعد أن حكمت المحكمة الإدارية بمصرية الجزرتين، تم تحويل الاتفاقية للتصويت عليها في البرلمان! وما نعرفه هو أن الاتفاقيات - بشكل عام - يتم عرضها على البرلمان قبل توقيعها والالتزام بها أمام طرف آخر، ثم عرضها للاستفتاء، أما أن يتم توقيع اتفاقية بشأن التفريط في أراضٍ مصرية، وبعد التوقيع عليها والالتزام بها، يتم عرضها على البرلمان، خاصة بعد حكم قضايى بمصرية الجزرتين، فهذا مالا نفهمه حقاً. بالنسبة لهذا البرلمان لا يمثل أغلبية الشعب المصري، لسبب بسيط، أن الإقبال على الانتخابات البرلمانية كان هزيلًا غير مسبوق ولا حتى في فترة حكم مبارك.

الأغرب، أن الانتخابات البرلمانية لاقت هجوماً حاداً من مؤيّدي النظام، بل إن بعضهم ذهب بنظرية المؤامرة إلى أن البرلمان هدفه تعطيل الرئيس، وتقيد بيده، وتکبيل حريته في التصرّف فيما كيف شاء، وأن الأمر برمّته من تخطيط جماعة الأخوان المسلمين، وأنهم يهدفون للسيطرة على البرلمان. ومن ثم، فلم يشارك مؤيّدو النظام في التصويت على البرلمان لأنه مؤامرة على الرئيس، كما أنه لم يشارك معارضو النظام لأنهم يشعرون بأن الأمر هو مجرّد مسرحية هزلية، ولم يشارك أغلب الناس غير المسيّسين في الانتخابات لأنهم مشغولون بغير أفواههم في تيه وذهول. وهذه ليست المشكلة.

المشكلة أنه هناك تسريبات بشكل دوري تتناقض مع بعضها البعض: البرلمان سيصوّت بالرفض على الاتفاقية... وهذه هي التعليمات... لا... البرلمان سيصوّت على قبول الاتفاقية وهذه هي التعليمات... لا... البرلمان سيؤجّل التصويت. طيب... لماذا تلعبون في عقولنا البخت وتفتحون المندل وتخطّطون الرمل؟ لماذا؟ هل الأمر يحتاج إلى كل هذا الإجهاد والإرهاب والمحااجنة؟

جزيرتان في زمام الحدود المصرية، حارب عليهما المصريون، ومتمسكون بهما شأن كل شعب يتمسك بأرضه.

لماذا ننحهما لأي أحد بصرف النظر عن الخرائط والمراسلات والمها ترات؟ هل سمعتم عن بلد في هذا الكون الفسيح يتنازل طواعية عن قطعة أرض بلا مقابل سواء كانت ملكاً له أم لم تكن ملكاً له؟ ويخرج علينا مثل الحكومة في المحكمة ليقول بملء فمه: مصر كانت تحتل الجزرتين! طيب حتى الاحتلال لا يتنازل عن أراض من دون مقاومة شعبية على الأقل. يقول وزير الدفاع الإسرائيلي يعلون بأن موافقة مصر على التنازل عن الجزرتين تم "بإيعاز" من إسرائيل، ثم أشار في لهجة صفيفة قائلاً: ثم إن مصر ستحصل على 16 مليار دولار مقابل تنازلها هذا! طيب ولماذا لا تحصل أنت على 50 مليار دولار وتنازل عما سرقت من الأرض؟ هل نحن مرتزقة نبيع قطعاً من لحم أراضينا في مقابل المليارات؟ هكذا تنظر إلينا دولة الكيان الصهيوني التي احتلت أرضاً ليست ملكاً لها ولا ولن تتنازل عنها ولو خيرت بينها وبين كنوز الدنيا؟

نحن الآن جماعنا يقع تحت ضغط نفسي هائل بسبب انتظار تصويت البرلمان، هناك من قرر أن يريح نفسه ويفقد الأمل ويتعامل مع الأرض بأنها راحت وينصب العزاء مبكراً، وهناك من قرر أن يتشبّث بالأمل ويحدّث نفسه: لا أكيد.. غالباً... يمكن... أن يموّتوا بالرفض... وهناك من يتآرجح بين القنوط والرجاء. وكلنا يشعر بالعجز بالرغم من أننا سلكنا السبل القانونية، وقطعة من لحم مصر مهدّدة بأن تُستأصل ونحن لا نصدق أنفسنا بأننا نرفع قضية على الحكومة كي لا تستأصل ما أقسمت على صونه.

مجداً تم القبض على من شعرووا بالغضب من إعادة تهديد أراضيهم فنزلوا بشكل عشوائي للاعتراض. في الواقع نحن لا نعلم كيف ستذوّن هذه الفقرة من حياتنا في كتب التاريخ. "وكان المصريون في ذهول تام"، أم سيكون عنوان الفصل: "مقدمات أدت إلى فقد المصريين عقولهم" ثم يبدأ الفصل: لم يكن المصريون مختلّين عقلياً طوال الوقت كما هم الآن، وإنما كانت هناك عوامل تاريخية وسياسية وسوسبيوجرافية أدت إلى تدهور القوى العقلية لهذا النسل حتى وصل إلى ما وصل إليه الآن، منها..." حسبنا الله ونعم الوكيل.

المصدر: الميادين نت